الكتاب العربي المخطوط في مرآة الاستشراق
برجستراسر و كارل بروكلمان -نموذجا-

The Arabic manuscript in the mirror of Orientalism
Bergsträsser and Karl Brockelmann as a model

يوسف بن هورة

جامعة الجلفة (الجزائر)، y.benhoura@univ-djelfa.dz

تاريخ الاستلام: 2023/01/13 تاريخ القبول: 2023/05/23 تاريخ النشر: 2023/06/18

الملخص:

يهدف هذاالمقال العلمي إلى تقديم ثمرة عَلمين من أعلام الاستشراق في إطار اتِّصال الشَّرق بالغرب هما: برجستراسر و كارل بروكلمان، من زاوية عرض كتابيهما، الأوّل منهما "أصول نقد النصوص و نشر الكتب"، و الثّاني "تاريخ الأدب العربيّ".

و قد اخترت لمناقشة الموضوع الإشكالية التالية: ما القيمة العلمية التي حواها الكتابان؟، و ما مدى استفادة المحققين للمخطوطات العربية من محتوى الكتابين؟.

كلمات مفتاحية:برجستراسر، بروكلمان،الاستشراق ، المخطوط ، التراث .

Abstract:

The following scientific article aims to present the efforts of two Greatest of orientalism in the context of East-West contact: Bergstrasser and Karl Brockelmann, in terms of presenting their books, the first of which is "The Fundamentals of Text Criticism and Book Publishing", and the second is "History of Arabic Literature".

I have chosen to discuss the following problematic topic:

What is the scientific value contained in the two books? And to what extent did investigators of Arabic manuscripts benefit from the content of the two books?

Key words: Bergstrasser ,Brockelmann , Orientalism , manuscript ,Heritage.

المؤلف المرسل: يوسف بن هورة ، **الإيميل:** y.benhoura@univ-djelfa.dz

1. مقدمة:

هذا المقال العلميّ لا يتصدّى لتشريح حركة الاستشراق ، و إنَّما غايتي من هذه الورقة العلميَّة أن أقدِّم ثمرة عَلمين من أعلام الاستشراق في إطار اتِّصال الشَّرق بالغرب هما: برجستراسر و كارل بروكلمان، و مدار الاتِّصال هو الكتاب العربيّ المخطوط، و هذا من زاوية عرض كتابيهما، الأوّل منهما "أصول نقد النصوص و نشر الكتب"، و الثّاني "تاريخ الأدب العربيّ".

و قد اخترت لمناقشة الموضوع الإشكالية التالية:

ما القيمة العلمية التي حواها الكتابان؟، و ما مدى استفادة المحققين للمخطوطات العربية من محتوى الكتابين؟.

بنيتُ المقال على مقدمة و عرض و خاتمة، جاءت المقدمة في تاريخ اتّصال الشرق بالغرب، أمّا العرض فتناولت فيه ترجمة برجستراسر و بروكلمان مع عرض كتابيهما، و الوقوف على القيمة العلمية التي قدّمها الكاتبان ثمّ وضعت خاتمة بيّنت فيها جهود المستشرقين عموما في خدمة الكتاب العربي المخطوط مع ضرورة تقييم ما أنجزوه تقييما موضوعيا.

2. تاريخ اتّصال الشّرق بالغرب وحدّ الاستشراق :

1.2بدايات الاتّصال :

لا بأس قبل أن ألج إلى جهود ذينك المستشرقَين أن أعوّج سريعا على بداية اتّصال الشّرق بالغرب ثم أُطوّف على مصطلح الاستشراق في مظانه المعجمية، وهذا إجراء أراه منطقيا بالنّظر إلى فكرة المقال، فمتى تمَّ الاتّصال بين الشّرق و الغرب؟ و ما مفهوم الاستشراق؟.

اتّصال الشّرق بالغرب طلّ برأسه منذ ماض سحيق، أرجعه المؤرّخون إلى ثلاثة قرون قبل المسيحية، تلكم الحقبة التي ارتبطت بمشروع الاسكندر المقدوني السّاعي إلى إحكام قبضته على العالـم شرقه و غربه اقتـناعا منه بفكرة أوحى له بـها أرسطو طاليـس « سعى لخلق مجتمع ليس فيه حدود تفصل بين بلاده و البلاد الأخرى التي استولى عليها»(ساسي ، 2002 ، 32/1)، فسارع الإسكندر الخطى صوب تجسيد مشروعه الكبير الذي كان لا يرى فيه العالم إلاّ شيئا واحدا، ولا يرى البشرية طرا إلاّ منصهرة في الأخوّة

الإنسانية «كان أوّل زعيم في التّاريخ نادى بوحدة العالم كما كان أوّل إنسان في التّاريخ فكّر في الأخوّة الإنسانية والوحدة البشرية» (ساسي، 2002 ،1/ 31،32) ، و قد امتدت يد الإسكندر إلى بلاد العرب حتى وصلت البحرين، و لمّا مات و رجاله ابتليت البلاد بغزوات الرّومان الذين جاسوا خلال الدّيار، و بقيت الجغرافيا العربية قبلة لكلّ غاز و نهبا مستباحا، و بقى حلم الغرب مستمرا لتطويع كلّ ما هو شرق، فواصل الحفيد الغربي ما بدأه جدُّه، وما حملة نابليون بونابرت عام 1798م على سوريا و مصر ثم ما أعقبها من استعمار أوربي على البلاد العربية في القرنين التاسع عشر و العشرين إلاّ حلقة من حلقات ذاك المشروع البعيد.

2.2حدّ الاستشراق :

أمَّا مفهوم الاستشراق فقد جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة «مصدر" استشرق" عناية و اهتمام بشؤون الشرقو ثقافاته و لغاته» (أحمد ، 2008 ، 1192) ، و الحركة الاستشراقية هي: «حركة تجلّت في اهتمام الغربيين بتراث الشرق و حضاراته و لغته»(أحمد ،2008 ، 1192) ، و هناك من المهتمين بالاستشراق و قضاياها من توسّع في المصطلح فأكسبه صفة العلم فأطلق عليه علم الاستشـــراق أو علــم المشرقيات دون المساس بمحتــواه « درس لغات الشّرق و تواريخـــه و أحواله و آداب سكانه » (الفيكنت ، 1947 ، 611/1).

فجميع التّعريفات التي سقناها – على سبيل المثال لا الحصر– تؤكّد على أنَّ هناك اتّصالا قد حدث بين شعوب الغرب والأمم الشرقية عربية وفارسية وتركية بهدف اكتشاف ودراسة الحضارة الشرقية من حيث إنجازاتها المعرفية و العمرانية، و تحديدا اتصال الغرب بالحضارة العربية الإسلامية لما أسبغته هذه الأخيرة على الإنسان في معتقده و في حركـته و سكنته، و بالإجمال الثورة القيمية التي جعلت الإنسان يدرك من هو؟ و لم أُستخلف على أديم الأرض؟ و ما مصيره؟، فقيم الوحي إذًا شغلت تفكير هؤلاء الغربيين فأيقنوا أنّهم أمام فكر جديد ما لبث يؤسِّس لحضارة بلغت من الكمال ما شاء الله لها أن تبلغ فكان الإقبال إقبالا.

3.عرض كتاب برجستراسرو إسهاماته في خدمة التّراث:

1.3 بطاقة فنية :

الكتاب: أصول نقد النصوص ونشر الكتب

المؤلّف: برجستراسر (1886-1936م)«أثبت الزركلي في الأعلام أن تاريخ وفاة برجستراسر هو 1933م» (خير الدين ، 2002 ، 143/2) .

إعداد وتقديم: محمّد حمدي البكري

تاريخ تأليف الكتاب: 1931م .

الناشر: دار المريخ، الرياض.

الطّبعة: دط، تاريخ النشر: 1402هـ/1982م .

2.3 نبذة عن برجستراسر :

برجستراسر من كبار المستشرقين الألمان، ضبط خير الدين الزركلي اسمه فقال:« جرى كُتّاب العربية على تسميته برجستريسر أو برجستراسر...، و يلفظها الألمان برك شريزر..»(خير الدين ، 2002 ، 143/2)، ولد في مدينة بلون عام 1886م، كان أبوه قسّا و جدّه أيضا، نال شهادة ليسانس من جامعة ليبزيج سنة 1904م، شغفه في اكتشاف عوالم أخرى قاده إلى الشرق فزار سوريا و الأناضول و مصر، لكن سرعان سحره تراث الشّرق فتملّكه بجُمعه، حاضر في كبرى الجامعات كجامعة الآستانة و جامعات ألمانيا و القاهرة، تتلمذ على يديه في جامعة القاهرة خلال 1931م و 1932م حمدي البكري الذي أعدّ و قدّم للكتاب مناط الإثراء، قضى عام 1933 م بعدما تردّى من شاهق، ألّف في علم اللّغات السّاميّة، و لهجات الآراميّة هذا خلا مقالاته(نجيب ، 1964 ، 747) .

التفت الأوربيون إلى آدابهم القديمة من يونانية ولاتينية فأنشأوا علما عُرف بنقد النصوص، وكان ذلك منذ القرن الخامس عشر ميلادي، واعتمد عملهم في البدايات على نشر كل ما هو قديم غير مكترثين بعلاّت النّص وهناته ماعدا الأخطاء البسيطة فإنّهم كانوا يصوّبونها، ولكن بعد مدّة تطوّرت طريقة تعاملهم مع النصّ فعمدوا إلى جمع نُسخ الكتاب الواحد، وشرعوا في مقابلتها «وكانوا كلّما تخالفت النُّسخ في موضع من المواضع اختاروا إحدى الرّوايات المختلفة ووضعوها في نص الكتاب، وقيَّدوا ما بقي من الرّوايات في الهوامش»(برجستراسر ، 1982 ،11).

ورغم هذا الجهد الطيّب إلاّ أنّهم لم يهتدوا إلى منهج واضح متكامل الأدوات إلاّ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر «حين وضعوا أصولا علمية لنقد النصوص ونشر الكتب القديمة»(برجستراسر ، 1982 ،12)، غير أنّهم حبسوا تلك الأصول النقدية في الآداب الغربية، ويعدُّ كتاب " برجستراسر" الباكورة الأولى في التقاء الناقد الاستشراقي مع الكتاب العربي المخطوط وجها لوجه بُغية إخراجه إخراجا علميا مرجوّا، وقد التمس مؤلّف الكتاب لهذه الغاية منهجا بناه أوّلا على نُسخ الكتاب وضوابطها ثمّ حديث في النّص من حيث نقده ومعرفة لغته والتنقيط وأخطاء النَّسخ وظاهرة التّحريف، وأخيرا باب في العمل والإصلاح.

3.3 إسهاماتهفي خدمة التراث المخطوط :

سأحاول هنا أن أُظهر جهود هذا المستشرق في خدمة التّراث العربيّ من خلال كشف معالم منهجه، فهو يبدأ بنُسخ الكتاب المخطوط ويتَّخذ من جمع النُّسخ أولوية تعبقها مرحلة فرز النُّسخ وفق معيار المفاضلة، ولا يتم ذلك إلا بقواعد علمية وهي:

- تمام النُّسخة وكمالها.
- وضوح النُّسخة.
- قدم النُّسخة.
- النُّسخ التي عُورضت بغيرها أحسن من التي لم تُعارض، فإنّ الأولى منها أنفس وأثمن.

قد عنَّ لمؤلّف الكتاب أن ينبِّه إلى مسألة في غاية الأهمية فيما يخصّ قاعدة قدم النُّسخة فأحيانا لا ترتقي النُّسخة القديمة بكونها الأولى منزلة لعلّة ما فتُؤخَّر، وتصبح النُّسخة الأحدث تاريخا هي الأُولى، وهي مدار التَّحقيق والنَّشر، وتكون النُّسخة القديمة مُستأنسا بها في عملية المقابلة والتَّصحيح.

ولكن ما الضَّابط الذي يتَّكئ عليه ناقد النُّسخة القديمة فيؤخّرها؟.

في الحقيقة قام "برجستراسر" بإماطة اللّثام عن هذه الحَيرة فقدّم لنا ضابط نقص النُّسخة مثلا وعدم تمامها، ونراه ساق لذلك أمثلة من كتب مخطوطة ككتاب "اللُّمع في التصوّف" لأبي نصر عبد الله بن علي بن محمَّد بن يحي السرّاج الطوسي (ت 378هـ) ،قال الذهبي: «كان

المنظور إليه في ناحيته في الفتوة و لسان القوم مع الاستظهار بعلم الشريعة». (شهاب الدين ، 1986 ، 413) ، الذي نشره المستشرق الإنجليزي "رينولولدنيكلسون" (ت 1364هـ) ، فهذا الكتاب يحوز على مخطوطتين، نُسخت الأولى منهما عام 548هـ، ونُسخت الأحدث عام 683هـ إلاّ أنّ النُّسخة القديمة اعتراها نقص بلغ «ثلث الكتاب»(برجستراسر ، 1982 ،16)، وحتى متن الكتاب هنا رُتّب ترتيبا غير مفهوم « فبنى النَّاشر طبعته على النُّسخة الحديثة، ولم يستعمل النُّسخة القديمة إلاّ في تصحيح النّص »(برجستراسر ، 1982 ،16).

وهناك كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"«مصنَّف نفيس في مجاله و مصدر من مصادر تاريخ الطب لدى العرب، حوى أربعمائة ترجمة، شرع ابن أبي أصيبعة في تأليفه حوالى سنة 640هـ ...، في دمشق». (هيكل ، 1991 ، 73)لأبي العبّاس أحمد بن القاسم بن أبي أُصيبعة(المتوفى 668هـ) ، «هو موفق الدّين أبو العبّاس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي، عُرف بابن أبي أصيبعة، ملك ناصية الطب والتاريخ و الأدب، توفي في عهد الملك الظاهر بيبرس» (جمال الدين ، 1963 ، 229/7).

أقدم نُسخة نُسخت عام 712هـ إلاّ أنّها حبلى بالأخطاء ونسخة نُسخت عام 1117هـ حتى وإن شابها الخطأ غير أنّها أحسن من القديمة.

وفي نفس السِّياق تكلّم مؤلّف الكتاب عن ناسخ النُّسخة على أنَّ تاريخ النُّسخة ليس وحده المعوّل، على أن يرتضيها المحقّق فيجعلها واسطة العقد أي: أصلا وأمّا- وتكون النُّسخ الأخرى تَبعًا لها -أي: فروعا و بَنَاتً.

فممّا تقدّم كان لزاما على المحقّق (ناقد النُّسخة) أن يبحث عن:

كاتب النّسخة: فالنّسخة التي خطّها المؤلّف بيمينه تكون أسَّ النُّسخ.

و لكنّنا إذا نحن سلّمنا جدلا بسبق نسخة المؤلّف الأصلي فأيّ نُسخَتيْه تكون أُمّاً إذا ما علمنا أنّ من عادة المؤلّف قديما نسخ كتابه مرتين أي مسوَّدة و مُبيّضة، فأيُّهما إذًا يرتضيها المحقّق أصلا؟ و أيُّهما فرعا؟.

يرى "برجستراسر" أنَّ المُبيّضة هي الأصل « فالمسوَّدة قريبة من الأصل؛ إلاّ أنّها في كثير من الأحيان لم تبلغ غاية الكمال الذي وصل إليه المؤلّف في مُبيَّضته»(برجستراسر ، 1982 ،16).

ثمّ تحلُّ ثانيةً نسخة تلميذ الشَّيخ أو طالبه إمّا سماعا أو استملاء أو استنساخا، وقد حفَّ "برجستراسر" هذه النّسخة بشرط بذل الأستاذ (الشَّيخ) واسع جهده في تصحيح النّسخة ولا تكون إجازة الشَّيخ للكتاب إلاّ بعد قراءته كلّه، وإن أعوزتنا النُّسختان السَّابقتان فلا مناص من البحث عن نسخة كتبها عالم ثقة.

ومن جميل ما قرأت في هذا الكتاب هو إنصاف "برجستراسر" للمسلمين الذين كانوا حريصين على ذكر أماكن تواجد «المخطوطات التي كُتبت بخط مشاهير المؤلّفين»(برجستراسر ، 1982 ،17).

واعترف أيضا بقوله: «والمرجَّح أنّ علماء العرب كانوا أكثر تقديرا لقيمة المخطوطات المكتوبة بخط مؤلّفيها من علماء الغرب» (برجستراسر ، 1982 ،18).

أمّا منازل النُّسخ للمخطوط الواحد حسب "برجستراسر" فهي على النحو التالي:

أ- نسخة المؤلّف.

ب-نسخة التلميذ

ت- نسخة النّاسخ.

يواصل "برجستراسر" جهوده في نقد قيمة النّسخة بعنوان وسمه بـ: "الدَّلائل الباطنة"، وفيه اجتهد في حصر تلكم الدّلائل التي ألحّ على المحقّق وجوب إطالة النّظر فيها، وهي: «الإخلال والتّقديم والتّأخير ثم الأخطاء (الغلطات)» (برجستراسر ، 1982 ،23).

فعمل المحقّق إذا لا يقتصر على تحقيق اسم المؤلّف وصحة عنوان الكتاب ونسبته إلى مؤلّفه فحسب، وإنّما يبدأ بتمحيص النُّسخة أو النُّسخ المتاحة بعين متبصِّرة بعيدة عن الزيغ فتدرك مواطن اختلاف الخط في النُّسخة الواحدة وتتُّبع أماكن السَّقط في النُّسخة سواء أكانت كلمة أم كلمات، سطر أم أسطرا ورقة أم ورقات، فمثلا "مخطوط آثار البلدان" لـ : "زكريا بن محمّد القزويني" (المتوفي 682هـ) له نسختان، جاء في نهاية سطر من أسطر النّسخة الثانية عبارة «الآن يجتمع بها حجيج الشَّام السَّبت صيد السّمك"، وهو كلام عديم المعنى...، وفي النُّسخة الأولى تقع كلمة "الشَّام" آخر السَّطر، وكلمة "السّبت" أوّل السَّطر الثّالث، فسقط سطر كامل ونصّه: "ومصر من جاء بطريق البحر، وهي القرية التي ذكرها

الله تعالى حاضرة البحر كانت أهلها يهودا حرَّم الله تعالى عليهم يوم"، فتبيَّن أنَّ النُّسخة الثّانية مأخوذة من الأولى أو من نسخ متوسطة بينهما»(برجستراسر ، 1982 ،24).

وبنفس التَّحليل العميق الذي يعكس تمكّن هذا المستشرق من أدواته وكأنَّه معجون عجنا بالتُّراث العربي الإسلامي يمضي من عنوان إلى عنوان، ومن فكرة إلى فكرة وبين هذا وذاك وهذه وتلك يستوقفك ليرفع عنك لُبسا أو يُزيل وَهْمًا قبل أن تلفّك الحيرة، فعلى سبيل المثال وهو في معرض الحديث عن إبرازات مسند أبي حنيفة (المتوفى 119أو 120هـ) تجده يسرد رواة المسند فيذكر اسم راوية ثم يستدرك «وأقدمهم أبو محمّد عبد الله بن يعقوب الحارثي البخاري المتوفى في 340هـ، وهو غيرالمحدِّث المشهور»(برجستراسر،1982 ،34).

أمّا في الباب الثاني فقد تحدّث "برجستراسر" عن نقد النّص، ويرى بأنّه وسيلة لاختيار القراءة الصّحيحة، ولا يبلغ النّقد كماله إلاّ بالفهم على أنّ سهام النّقد هنا تتجاوز نقد النّص إلى نقد كلام الشّارح فهما سيّان عنده، و قدّم كمثال على هذا الشّعر القديم وشرحه ثمّ عاد بعد ذلك إلى تقديم شَرْطَيْ الفهم، وهما:

أ- معرفة المادة التي يبحث فيها الكتاب.

ب- معرفة اللغة والأسلوب.

ولعلّ الوقوف على رأي الكاتب نفسه وغايته من تأليف الكتاب من صميم مشروع النّاقد، والقصد من هذا كلّه « نستعين بتلك المعرفة على نقد ما يخالف رأي المؤلّف وغرضه في النُّسخ، وتصحيح ذلك»(برجستراسر ، 1982 ،54).

أصل في نهاية المطاف إلى الباب الثالث والأخير وهو: "في العمل والإصلاح"، وسأكتفي فيه بالإشارة إلى تقريظ "برجستراسر" للعرب فيما يخصّ حرصهم الشّديد على معيار المقابلة قبل نشر الكتاب أو ترجمته «وقد عرف العرب المقابلة منذ فجر الحضارة الإسلامية واعتبروها شيئا أساسيا في أدب الترجمة في القرن الثالث للهجرة، ومع ذلك فإنّ أوّل استخدامها يرجع إلى عصر النّبي، فنحن نعرف أنّ النّبي كان يقابل سور القرآن...»(برجستراسر ، 1982 ،94).

وككلمة ختامية أقرّ أنّي لم أُعطِ الكتاب حقّه دراسة وتحليلا وأنّ حديثي كان مقتضبا، وهو حتما لا يُجزي عن قراءة الكتاب.

4. عرض كتاب كارل بروكلمانو جهوده في خدمة التّراث :

أمّا الكتاب الثّاني الذي تتراءى فيه ثمرة بعض المستشرقين في خدمة التُّراث العربيّ الإسلامي فهو كتاب المستشرق الألماني "كارل بروكلمان" "تاريخ الأدب العربيّ" الذي يُعدّ عملا [illegible] جال فيه مؤلّفه مشرقا ومغربا مكتشفا بعض ما انتهى إليه العقل العربي من أفكار ورؤى شتى شَكّلت جميعها وسمًا مُشرقا على جبين الحضارة الإنسانية.

1.4 بطاقة فنية :

الكتاب: تاريخ الأدب العربي

المؤلّف: كارل بروكلمان (1868-1956م)

الناشر: دار المعارف، القاهرة

ترجمة: عبد الحليم النجار (الأجزاء 1، 2، 3) ورمضان عبد التواب مع السّيد يعقوب بكر (الأجزاء 4، 5، 6).

الطّبعة: ج1- ط5، ج2-ط4، ج3-ط3، ج4-ط3، ج5 وج6- ط2.

2.4 نبذة عن كارل بروكلمان :

"كارل بروكلمان" مستشرق ألماني ولد عام 1868م في مدينة "روستوك"، بدأت مخايل نبوغه وهو طالب في الثّانوية، إذ كان أيامها يتقن العبرية ويتعرَّف على السّريانية لكن هذه اللّغات لم تجزه عن تعلُّم العربية وإتقانها على يد أستاذه "نرجر" وبالمجمل كان "بروكلمان" «يتقن إحدى عشرة لغة شرقية هي: العربية، السريانية، العبرية، والآشورية، البابلية، الحبشية، الفارسية الوسطى، الفارسية الحديثة، الأرمينية، التركية، القبطية»(عبد الرحمان ، 1993 ، 105) ، فضلا على إجادته الإنجليزية والإسبانية والإيطالية...، وكانت مؤلّفاته كثيرة أحصى منها "أوتواشبيس" 555 رقما في ثبت أنجزه سنة 1938م (عبد الرحمان ، 1993 ، 105) ، توفي بروكلمان عام1956م.

3.4 جهود بروكلمان في خدمة التّراث العربي :

لعلّ أهمّ كتاب يهمُّنا في هذا المقام -كما أسلفنا- هو كتاب " تاريخ الأدب العربيّ"، والذي يتألّف من ستة مجلّدات:

المجلّد الأوّل والثّاني هما الأصل، والمجلّدات الثّلاثة عبارة عن ملاحق ، الطّبعة التي توفرت لدّي أجزاؤها ستة، لكن ما قيّده عبد الرحمن بدوي في موسوعته هو «خمسة مجلّدات»(عبد الرحمان ،1993 ، 101)، وقد طُبع النّصف الأوّل من الجزء الأوّل سنة 1897م، والنّصف الثّاني منه في 1898م، والجزء الثّاني في 1902م «ثمّ أعاد بروكلمن طبع الطّبعة الأولى في مجلّدين مع توسُّعات كثيرة... في ليدن 1943–1949»(عبد الرحمان،1993 ،101).

لكلّ علم مفتاحه وأداته، ومفتاح كلّ كتاب عنوانه، فالعنوان الذي وسم به "بروكلمان" مؤلّفه يحتاج منّا إلى وقفة نرنو بها إلى مدى مطابقته للمادة المعروضة، فمصطلح "تاريخ" إشارة إلى استقراء الأحداث وملابساتها عبر الزمان والمكان، وأمّا مصطلح "الأدب" فهو ما ذهب إليه عبد الرحمان بدوي أثناء وصفه للكتاب عينه «مجموع ما كتب باللغة العربية في كلّ فروع العلم»(عبد الرحمان ،1993 ، 101).

وهو يحمل قيمة عزَّ ما نجدها في كتب مشابهة أرَّخت للأدب العربي دون أن أغمـــــط –طبعا– جهد مؤلّفيها، ولكن يبقى كتاب "بروكلمان" يحوز أهمية خاصّة؛ لأنّه عاين التُّراث العربيّ فتتبّع مضاربه وجمع عناوين ما بقي منه المخطوط والمطبوع على حدّ سواء، ومع كلّ عنوان مخطوط أو مطبوع يقدِّم بين يدي الباحث بعضا من حياة المؤلّف مثل ترجمته لصاحب مخطوط "رسالة في تفضيل الأتراك على سائر الأجناد و مناقب الحضرة السلطانية"، و هو أبو العلاء محمد بن علي « أبو العلاء محمّد بن علي بن حسُّول صفي الحضرتين وزير السّلطان طغرل بك... أصله من همذان و نشأ في الري، و رأس ديوان الرسائل بها ... توفي سنة 450هـ/1058م »(كارل ، 1979 ، 26/6)، و ترجمته لصاحب كتاب "المعجب في أخبار أهل المغرب" « أبو محمّد عبد الواحد بن علي محي الدّين التّميمي المراكشي، ولد في مدينة مراكش ثامن ربيع الآخر سنة 581هـ ... و درس فيها على ابن زُهر ثم درس في فاس و في الأندلس...»... (كارل ، 1979 ، 31/6)، وترى بروكلمان يخصّص حيّزا من كتابه لاستعراض المخطوطات مجهولة النّسب، و من أمثلة ذلك:

– مختصر لمجهول بعنوان: حضرة النديم من تاريخ ابن العديم.(كارل ، 1979 ، 78/6)

– مختصر سيرة ابن هشام لمجهول، النُّسخة موجودة في المتحف البريطاني أول 1489.(كارل ، 1979 ، 14/3)

– نظم سيرة ابن هشام مجهول تحت عنوان: الوصول إلى السّول في نظم سيرة الرّسول، والنُّسخة موجودة في القاهرة ثاني 406/5. (كارل ، 1979 ، 14/3)

– شرح من شروح لامية العجم لناظمها مؤيد الدين أبو إسماعيل الطغرائي (ت515هـ)، و هي معارضة للامية العرب للشنفرى، و هذا الشرح لمجهول، و المخطوطة قابعة في برلين تحت رقم: 7671. (كارل ، 1979 ، 10/5)

ارتأى "بروكلمان" أن تكون نافلــة قوله في الجزء الأوّل مــن الكتاب بعد المقدمــة – طبعا– عرضا بيبليوغرافيا للكتب التي سبقت كتابه، والتي أُلّفت في مصادر تاريخ الأدب العربي، فقد أحصى منها مائة وثلاثة وستين كتابا استغرقت أربعا وعشرين صفحة ثمَّ عزّز ذلك بكشّاف آخر لكتب في الآداب العربية لمؤلّفين عرب، غير أنَّ هذه المؤلّفات أُلّفت في زمانه فقط، قيّد منها أربعة وعشرين مؤلّفا.

وإذا ما أردنا أن نتبيَّن شيئا من شخصية بروكلمان العلمية فإنّنا لا ننتظر طويلا، فهي منذ البداية تعلن عن نفسها شخصية تتّسم بسعة الاطّلاع على الإنتاج الأدبي سابقه و آنيه سواء أكان ذلك أوربيا أم عربيا، وثانيا خُلّة النّقد التي رافقتها أي الشخصية – فنجدها لا تعطيك عرضا تاريخيا فحسب، بل تشهر قلم النّقد فتراها تصف "يوسف هامّر بورجستال" بعدم إتقانه وإلمامه بالعربية بشكل كاف ممَّا يتطلّب الإقبال على مادته بحذر شديد، وسحبت الحكم نفسه على المستشرق "أربتنوت" التي وصفت عمله بالموجز المُخل، وقد أصدرت حكمها على المؤلّفات تلك بضآلة القيمة، وعلى الرغم من هذه الروح النّقدية التي تمتّع بها "بروكلمان" إلاّ أنَّ ما يميّز أحكامه شيئان، أمَّا الأوّل فنقده كان مُعلّلا ووجه التّعليل فيه عدم إلمام "بورجستال" باللّسان العربي، وأمّا الثّاني فكان نقدا خاويا من التَّبرير– هذا على الأقل في تصوّري المتواضع– فكون هذا العمل به "إيجاز مخلّ"، وذاك عمل "ضئيل القيمة" كان الأَولى تقديم شواهد حيّة من الكتب المنقودة التي نشرها ديرنبورجderenbourg لكتاب الاعتبار الذي ألّفه أبو المظفر أسامة بن مرشد مجد الدّين (المتوفى 584 هـ)، و هو عبارة عن سيرته الذاتية بأنَّها نشرة أقلّ حُسنا من النشرة التي أخرجها فيليب حتّى PH.Hitti.(كارل

، 1979 ، 23/6) فهو حكم نقدي لم يُشفِ الفضول العلمي ؛ لأنّه لم يبيّن معايير تفوُّق طبعة فيليب عن سابقتها.

وقد لا أكون متجاوزا حدّ النُّهى ولم أشطط إذا ما وصفت هذا الكتاب بأنّه كشكول حوى من المعارف ما يجعل الأعناق تتطاول إليه، والأيادي تتنافس لاقتنائه، وقد بسط "بروكلمان" هذه المعارف على مدار أجزاء الكتاب الستّة، ففي الجزء الأوّل وضع خطّا عامّا رسم به مادة هذا الجزء، وهو "أدب اللُّغة العربية من أوّليته إلى سقوط الأمويين"، وتحت هذا الخط العام أتي بثلاثة أبواب جمعت قضايا أساسية في تاريخ ولغة وأدب العرب شعره ونثره من جاهليته إلى أفول شمس بني أميَّة في المشرق عام 132هـ مرورا بين المبتدى والمنتهى بعصر النّبوّة ومن أبواب هذا الجزء نذكر:

الباب الأوّل: أدب الأمّة العربيَّة، وفيه عشرة فصول هي:

- **الفصل الأوّل:** اللُّغة العربيَّة
- **الفصل الثّاني:** أوليّة الشّعر
- **الفصل الثّالث:** قوالب الشّعر العربيّ
- **الفصل الرّابع:** طبيعة الشّعر الجاهليّ
- **الفصل الخامس:** رواية الشّعر العربيّ
- **الفصل السّادس:** مصادر معرفة الشعر الجاهليّ
- **الفصل السّابع:** الشّعراء السّتّة
- **الفصل الثّامن:** شعراء آخرون في الجاهلية
- **الفصل التّاسع:** شعراء اليهود والنّصارى
- **الفصل العاشر:** أوليّة النّثر العربيّ

الباب الثاني: وسمه بـ "عصر النّبيّ – –"، واحتوى على تسعة فصول منها:

- **الفصل الأوّل:** محمّد النّبيّ – –
- **الفصل الثّاني:** القرآن
- **الفصل الثّالث:** لبيد والأعشى
- **الفصل الرّابع:** حسّان بن ثابت...

أمّا **الباب الثّالث** فموسوم بـ "عصر الأمويين"، وانضوت تحته تسعة فصول أيضا منها:

- **الفصل الأوّل:** الطّابع العام للعصر الأمويّ
- **الفصل الثّاني:** عمر بن أبي ربيعة
- **الفصل الثّالث:** شعراء آخرون في الجزيرة العربيَّة...

وأمّا الجزء الثّاني فعنونه بـ "خاص بالأدب العربيّ الإسلاميّ"، ومن أبوابه –مثلا– الباب الرّابع الذي اختار له عنوانا ألا وهو: "علم العربيَّة"، وجاء فيه حديث عن أهمّ المدارس اللُّغوية والنَّحوية التي بعّجت علم العربيَّة وعلـــم النّحو، وظهور المسائل الخلافية وأوجه الاحتجاج كمدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ومدرسة بغداد.

وفي الجزء الثّالث جرّد "بروكلمان" قلمه لينبري لعلم التّاريخ وعلم الحديث ونقده وعلم الفقه وأدب السّمر وكتب الثّقافة العامّة، فمن علم التّاريخ نأتي على ذكر الفصول التالية:

- سيرة رسول الله – –
- تاريخ العرب القديم
- تاريخ الحضارة والثّقافة.

ومن علم الحديث ونقده عرّج "بروكلمان" على مسائل منها:

مسألة تدوين الحديث في صدر الإسلام ومسألة نقده ، كما كانت له وقفة على كتب المسانيد.

وفي الجزء الرّابع تطرّق إلى علوم القرآن حيث تناول فصلين أحدهما القراءات وثانيهما تفسير القرآن، دون أن ينسى تعرّضه إلى العلوم التجريدية والطّبيعيات، فمن الأولى علم الرياضيات ومن الثّانية علم الطّب، ولا يفوتني في هذا السّرد أن أشير إلى تنظيم "بروكلمان" لمادته المقـدّمة و يتجلّى بعض منـها في تنســيق أبوابــه، فعلى سبيل المــثال لا الحصر بدأ بباب سمّاه: "المترجمون" وهو الباب الحادي عشر ثمَّ جاءت الأبواب الأخرى تَبَعا له وكأنّه ترتيب مقصود فلا تستقيم الأبواب الأخرى إلاّ بالحديث عن المُترجِم؛ لأنّه جسر المعرفة إلى الضِّفة الأخرى وعقولها، وتلكم الأبواب هي:

- **الباب الثّاني عشر:** الفلسفة

- **الباب الثّالث عشر**: الرياضيات
- **الباب الرّابع عشر**: الموسوعات.
- **الباب الخّامس عشر**: الجغرافيا.
- **الباب السّادس عشر**: الطّب
- **الباب السّابع عشر**: العلوم الطبيعية والخفية.

وإذا أردت التمثيل للجزء الخامس فإنّه انتقى عنوانا كبيرا هو: "الأدب العربيّ الإسلاميّ"، وفيه أبواب تعرَّضت إلى الشّعر والنَّثر وعلم اللّغة، ووصل فيها "بروكلمان" إلى شعراء شمالي إفريقيا وصقليَّة وحتى إلى شعراء الأندلس.

أمّا بخصوص الجزء السّادس والأخير فقد تلوّن بأبواب أهمّها:

التأريخ، أدب السّمر في النَّثر...

و أخيرا تاريخ "بروكلمان" فقدانه من المكتبة العربية والغربية هو فقدان لقسم كبير من تاريخ البشريّة الواسع، فكم من باحث يمَّم شطره فأسعفه في الاهتداء إلى إشارة تاريخية أو اسم علم أو موطن مخطوطة أو إلى توثيق نسبة كتاب ما أو... إلخ.

5. خاتمة :

والشّيء الذي أخلص إليه بعد هذا العرض أنّ كلف المستشرقين بالتّراث العربيّ الإسلاميّ المخطوط لا يقتصر على برجستراسر و بروكلمان فحسب، بل هما شاهدان منجمٌ من مستشرقين ألمان و إنجليز و فرنسيس و غيرهم، كلّهم –على تباين أهدافهم– أخذتهم الرِّحلة إلى عوالم الشّرق فأعملوا فكرهم و بسطوا أقلامهم في مخطوطاتنا جمعا و تحقيقا و نشرا، أي نعم تلك التّحقيقات و النّشريات قد يكون بعضها محلَّ مساءلة أكاديمية قوامها الموضوعية و لا نصرة فيها إلاّ للعلم أوّلا و ثانيا و ثالثا على اعتبار أنّها جمعت الغثّ و السّمين.

قائمة المراجع :

1- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م.

2- الفيكنت فيليب دي طرازي، خزائن الكتب العربية في الخافقين، وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، لبنان، د ط، 1947م.

3- برجستراسر، إعداد وتقديم: محمّد حمدي البكري ، أصول نقد النصوص و نشر الكتب، دار المريخ، الرياض، د ط، 1402هـ/1982م.

4- جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، وزارة الثقافة، مصر، ط، 1383هـ/1963م.

5- خير الدين الزركلي ، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب و المستعربين و المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م.

6- ساسي سالم الحاج ، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الاسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2002م.

7- شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمّد ابن العماد، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ط1، 1406هـ/1986م.

8- عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993م.

9- كارل بروكلمان، تحقيق: عبد الحليم النجار - رمضان عبد التواب، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1977م.

10- نجيبالعقيقي، المستشرقون، موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين و دراسة عنه منذ ألف عام حتى اليوم، دار المعارف، مصر، ط3، 1964 م.

11- هيكل نعمة الله، إلياس مليحة، موسوعة علماء الطب مع اعتناء خاص بالأطباء العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.